وزير يليق بـ«عهد حزب الله»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس ما يعكس درجة الانحطاط التي بلغها لبنان أكثر من وجود جورج قرداحي في موقع وزير الإعلام وأن يخرج بالكلام الذي قاله عن اليمن وغير اليمن. ليس مثل هذا الوجود الذي يرمز إلى الاحتلال الإيراني، الذي أراد إعطاء جائزة ترضية إلى النظام السوري عن طريق توزير أحد التابعين له، سوى تعبير عن واقع. يتمثّل هذا الواقع في انتخاب ميشال عون رئيسا للجمهوريّة في الحادي والثلاثين من تشرين الأوّل – أكتوبر 2016. كلّ ما تبقى، إثر ذلك، مجرّد تفاصيل بعدما صارت إيران عبر لواء في "الحرس الثوري" تقرّر من هو رئيس جمهورية لبنان الماروني. جورج قرداحي نتيجة وليس سببا.

ما يشفع لجورج قرداحي أنّه نتيجة وليس سببا. إنّه ارتكاب من ارتكابات العهد. وصل إلى وزارة الإعلام في ظروف لا تخفى على أحد. السياسة بالنسبة إليه تمجيد لدكتاتور هجّر عشرة ملايين وأكثر من أفراد شعبه وقتل نصف مليون منهم

لم يكن هذا التطور الذي لم يستطع كثيرون، من بينهم الدكتور سمير جعجع رئيس حزب "القوات اللبنانية" استيعاب أبعاده في حينه، سوى منعطف في غاية الخطورة، بل بين أخطر المنعطفات على الصعيد اللبناني. كان لا بدّ في المرحلة التي سبقت انتخاب ميشال عون رئيسا للجمهوريّة من محاولة فهم خطورة ما يعنيه أن يكون "حزب الله" من يقرّر من هو رئيس الجمهورية اللبنانيّة.

ما نشهده اليوم هو انبطاح يومي من جبران باسيل، صهر رئيس الجمهوريّة، لإثبات أنّه قادر على أن يقدّم لـ"حزب الله" ما لا يستطيع أحد غيره تقديمه وأنّه خير خلف لخير سلف وقّع وثيقة مار مخايل في السادس من شباط – فبراير 2006 بغية إثبات أن في استطاعة طرف مسيحي يمتلك أكبر كتلة نيابيّة السير في غير مصلحة لبنان. لم تكن إيران، صاحبة مشروع تمدّد "الجمهوريّة الإسلاميّة" تحلم بذلك في يوم من الأيّام.

يذهب جبران باسيل في تزلّفه لـ"حزب الله" إلى أبعد حدود في مهاجمة سمير جعجع وشيطنته، علما أن هناك ما للرجل وهناك ما هو عليه. لا يمكن تحميل رئيس "القوات اللبنانيّة" مسؤولية سقوط ضحايا في أحداث عين الرمّانة يوم الرابع عشر من تشرين الأوّل – أكتوبر 2021. وحده تحقيق مستقلّ يمكن أن يحدّد ما الذي حدث يومذاك. لكنّ الأكيد أن عين الرمانّة لم تعتد على أحد، بل كانت معتدى عليها وعلى أهلها. ما حدث يجسّد ممارسات طرف يمتلك فائض القوّة وسلاحا ميليشياويا في خدمة مشروع مذهبي يعتبر لبنان بمسيحييه ومسلميه مجرّد تفصيل لديه.

ليس جورج قرداحي، الذي صار وزيرا في غفلة من الزمن، سوى تعبير عن مرحلة انهار فيها لبنان وبلغ الحضيض. لم يعد يوجد من يسأل كيف يمكن لشخص لا يعرف شيئا عن موضوع عربي وإقليمي في غاية التعقيد أن يسمح لنفسه بالكلام عن اليمن وإعطاء إجابات حاسمة في شأن الحوثيين الذين ليسوا في نهاية المطاف سوى أداة من أدوات إيران في المنطقة.

منطقي، عندما يسقط لبنان، أن يكون في وزارة الإعلام شخص مثل جورج قرداحي لا يدرك النتائج التي ستترتب على كلامه، أكان ذلك قبل أن يصبح وزيرا أو بعد ذلك.

يصلح التساؤل هل كانت تجربة الأسئلة والأجوبة التي مرّ فيها جورج قرداحي، والتي تطرّق فيها إلى الموضوع اليمني، امتحانا مهد لتوزيره؟ يبدو مثل هذا التساؤل أكثر من مشروع في حال نظرنا إلى السنوات العشر التي تفصل بين توقيع وثيقة مار مخايل بين حسن نصرالله وميشال عون... ووصول الأخير إلى موقع رئيس الجمهوريّة في مثل هذه الأيّام من العام 2016.

في السنوات العشر تلك، وفي السنوات التي تلتها، لم يفوت "حزب الله" امتحانا لم يمرّر ميشال عون به. من تغطية حرب صيف العام 2006 التي كانت كارثة على لبنان... إلى رفض التحقيق الدولي في تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب – أغسطس 2020. بين ما غطاه ميشال عون، تدخل بالطبع أحداث مثل اغتيال الضابط الطيار في الجيش اللبناني سامر حنا بسبب تحليقه في هليكوبتر فوق منطقة تابعة لـ"حزب الله".

لا حاجة إلى إعطاء مزيد من الأمثلة عن تصرّفات رئيس الجمهورية الحالي قبل وصوله إلى قصر بعبدا وبعد ذلك وكيفية تبريره المسبق لاغتيال وسام الحسن ولرفضه أخذ العلم بمعنى تورط "حزب الله"، من منطلق مذهبي، في الحرب على الشعب السوري. هذا غيض من فيض ارتكابات لا تحصى لشخص كان حليف صدّام حسين في الأعوام 1988 و1989 و1990 عندما كان في قصر بعبدا للمرّة الأولى كرئيس لحكومة مؤقتة. لم يكن من مهمّة لتلك الحكومة سوى تهيئة الأجواء لانتخاب رئيس للجمهوريّة خلفا للرئيس أمين الجميّل الذي انتهت ولايته في الثالث والعشرين من أيلول – سبتمبر 1988.

في أثناء وجوده في قصر بعبدا، قام ميشال عون بكلّ ما هو مطلوب منه، بما في ذلك شنّ حرب على "القوّات اللبنانيّة"، باستثناء تأمين انتخاب رئيس للجمهوريّة. ذهب إلى حدّ إقامة حلف مع صدّام حسين واستقدام دبابات من العراق غير مدرك أن المنطقة التي كانت تحت سيطرته ساقطة عسكريا. كان كافيا رفع الغطاء الأميركي والإسرائيلي عنه كي يضطر إلى مغادرة قصر بعبدا هربا واللجوء إلى السفارة الفرنسيّة في الثالث عشر من تشرين الأوّل – أكتوبر 1990!

طبيعي أن يتوّج شخص بهذه الضحالة السياسية عهده بالإتيان بجورج قرداحي وزيرا للإعلام. طبيعي أكثر أن يبذل وزير الإعلام كلّ ما يستطيع من أجل زيادة العزلة العربيّة للبنان. ما لم يكن طبيعيا قبول شخص مثل نجيب ميقاتي أن يكون جورج قرداحي وزيرا في حكومته. يفترض في نجيب ميقاتي أن يكون من الذين يعرفون أكثر، ولو قليلا، بالناس وذلك على الرغم من الظروف الدقيقة التي تمرّ فيها علاقته بالنظام السوري الذي يعرف أركانه أكثر من غيره بكثير.

تهور جورج قرداحي يورط لبنان

ما يشفع لجورج قرداحي أنّه نتيجة وليس سببا. إنّه ارتكاب من ارتكابات العهد. وصل إلى وزارة الإعلام في ظروف لا تخفى على أحد. السياسة بالنسبة إليه تمجيد لدكتاتور هجر عشرة ملايين وأكثر من أفراد شعبه وقتل نصف مليون من هذا الشعب ويحتفل بانتصاراته فيما بلده تحت خمسة احتلالات!

يليق مثل هذا الوزير سوى بـ"عهد حزب الله". ليس ما هناك من يليق به أكثر...

صراع بنكيران والعثماني وعقدة الزعامة لدى الإسلاميين

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

أعاد تأجيل مؤتمر حزب العدالة والتنمية المغربي ذي الخلفية الإخوانية بعام كامل الجدل حول عقدة الزعيم لدى التيارات الإسلامية وخاصة الإخوانية منها. والأمين العام السابق للحزب عبدالإله بنكيران لم ينظر إلى أزمة الحزب، الذي سقط سقوطا مدويا في انتخابات الثامن من سبتمبر الماضي، بل تعاطى معها على أنها مناورة من خصمه سعدالدين العثماني الأمين العام، والذي يسمح له التأجيل بالتقاط أنفاسه وإعادة ترتيب أموره للعودة إلى المنافسة بقوة.

سعى بنكيران لاستثمار الهزيمة المدوية لخصمه ليعود إلى رئاسة الحزب كقائد ملهم. يريد أن يثبت للذين أطاحوا به في الانتخابات أنهم قد أخطأوا بحقه وأن عليهم الاعتذار، وخاصة عليهم السمع والطاعة في المستقبل ما يمكّنه من أن يضمن فترتين قادمتين دون مشاكل.

تحرص أدبيات الإسلاميين على التعامل مع رئيس الحزب أو الجماعة بمنطق الأمير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن منافسيه بقطع النظر عن تدينهم وتاريخهم وعلمهم هم خارجون عن صف الفرقة الناجية، وهو ما يجعل التجاءه إلى اعتماد الانتخابات أمرا شكليا وبلا معنى سوى محاولة استثماره للإيحاء بأن بعض الحركات الإسلامية باتت تعتمد الديمقراطية في إدارة شؤونها الداخلية، وهي رسالة موجهة إلى الخارج، ولا قيمة لها داخليا.

لقد نظر بنكيران إلى نتائج الانتخابات كنصر له شخصيا على خصمه، ولذلك طالبه بالاستقالة الفورية بعد الهزيمة، وها هو يغضب لتأجيل المؤتمر ويعلن أنه لن يترشح لأن التأجيل يفوّت عليه فرصة استلام سلطة القيادة دون عناء، والعودة إلى الواجهة كأمير قوي.

وتتكرر هذه القصة في أكثر من حزب وجماعة إسلامية وفي كل الأوقات، والمشهد هو نفسه في تونس مع فارق في التفاصيل، فراشد الغنوشي، رئيس حركة النهضة بمسمياتها المختلفة لأكثر من خمسين عاما يرفض التنازل عن القيادة بالرغم من أن القانون الذي أشرف عليه بنفسه ووافق على إقراره يقول إن آخر مدته الرئاسية تنتهي بانعقاد المؤتمر، وأن عليه تسليم عهدته، والتفرغ لاحقا لمسائله وعلاقاته الخاصة.

وقد تأجل المؤتمر الحادي عشر لأكثر من مرة لأن حسابات الغنوشي لا تتماشى مع عقده، ويريد أن يبحث عن حيلة قانونية تتيح له أن يترشح كمنافس على الرئاسة، وسيكون ضامنا للفوز بسبب شبكة علاقات قوية صنعها خلال السنوات الماضية خاصة.

والحيلة التي لعب عليها الغنوشي هي اعتبار أن المؤتمر سيد نفسه، وممكن أن يغيّر ما تم الاتفاق عليه سابقا ويلتف على عملية المنع بإجازة عودة الرئيس مالك الأسرار والمال والعلاقات الخارجية المتينة.

وبعد اليأس من الحصول على تعهد من الغنوشي بأنه لن يترشح للمؤتمر القادم الذي لا أحد يعرف متى يعقد، بالرغم من مرور سنتين على موعده الأصلي، اختار مناوئو الغنوشي التصعيد في خطوتين الأولى تقديم عريضة تطالب بتوضيح باحترام مقتضيات الفصل الـ31 من النظام الداخلي الذي يمنعه بشكل واضح من الترشح، والثانية المرور إلى الاستقالات التي بدأت بأسماء كبرى ومؤثرة مثل عبدالمجيد الجلاصي ولطفي زيتون قبل أن تنتهي إلى استقالة جماعية في قائمة تفوق المئة وثلاثين قياديا من القيادات العليا والوسطى وفي المحليات.

والنتيجة هي نفسها تقريبا، فليس المهم مصير الجماعة أو الحزب وصورته وتأثيره المجتمعي، فذلك عنصر ثانوي، المهم أن تظل السلطة متمركزة في يدي الأمير، أو هكذا يسمّى قبل الخروج من السرية ودخول لعبة العمل السياسي العلني تحت مظلة ديمقراطية شكلانية.

أدبيات الإسلاميين تحرص على التعامل مع رئيس الحزب أو الجماعة بمنطق الأمير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن منافسيه بقطع النظر عن تدينهم وتاريخهم وعلمهم هم خارجون عن صف الفرقة الناجية

ومن المنتظر أن يتوسع الخلاف أكثر باتجاه تحول حركة النهضة إلى أجسام متعددة إذا قرر المستقيلون تشكيل حزب، وقد لا يفي حزب واحد بالتعبير عن حاجة بعض القياديين إلى الزعامة، فهناك من يريد حزبا مدنيا دون أي إشارة لبعده الديني، وهناك من يسعى لإعادة تجربة حركة "الاتجاه الإسلامي" كواجهة تدعو إلى تطبيق الشريعة وتعيد الحركة إلى بعدها الإخواني الأول. وبعد وقت سنجد مسمّيات متعددة في إحياء لتجربة الإسلاميين في الجزائر الذين باتت لديهم أجسام سياسية بعدد الرموز المتصارعة.

وغير بعيد عن صراع الإخوان في شمال أفريقيا الذين غيروا أسماءهم ليقولوا إنهم لم يعودوا إخوانا وإنهم يقودون حركات ذات هوية محلية، نجد أن الجماعة الأم، أي حركة الإخوان المسلمين في مصر تعيش على وقع صراع الشقوق والرموز وكل يريد أن يثبت أنه حامل للشرعية وحام لمنهج القيادة التاريخية الموجودة في السجون.

مع ملاحظة أن الصراعات لا علاقة لها بالبرامج والأفكار، فشق مكتب إسطنبول الذي يتزعمه القيادي محمود حسين ينظر إلى منافسه إبراهيم منير القائم بأعمال المرشد، والمقيم في لندن، كمنافس على القيادة والشرعية، ولهذا سيتقوّى كل منهما بداعميه الخارجيين ليفرض نفسه الرجل الأول على التنظيم رغم أنه ضعف وتراجع تحت وقع الاعتقالات إلا أنه ما يزال يمتلك إمبراطورية مالية عابرة للدول لا شك أنها تغري كل قيادي بأن يقاتل للإمساك بمفاتيحها.

ولأن صراع الخارج وتشابكاته لا تنتهي، وقد تخرج من تفاصيل القيادة وتقييم الماضي وضبط من يتحمل المسؤولية إلى قضايا أخرى لا علاقة لها بالداخل، لذلك يتحرك شباب الداخل المنتمون إلى الجماعة من أجل استرداد القيادة لتكون اقرب إلى تفاصيلهم الداخلية والاستظلال بها لتقديم التماسات إلى السلطة السياسية من أجل إعادة النظر في وضع الجماعة، وعدم التعاطي مع ما تقوله "شرعية الخارج" من تصريحات تصعيدية، وأن "شرعية الداخل" لا تبحث سوى عن عفو رئاسي ينقذ ما أمكن من عناصر الجماعة وخاصة من الشباب والقيادات الثانوية التي لم تكن تعي حجم المعركة وتشابكاتها.

وواضح من كل هذه المسارات أن مشكلة الإسلاميين الرئيسية هي في تقديم الحصول على القيادة على ما سواها من العناصر، ما يحوّلهم إلى حركات مغامرة أو مهادنة حسب مزاج "الزعيم" أو "الأمير" الذي يضع وراءه كل الشعارات الكبرى من نوع إظهار الإسلاميين أن لهم مشاريع اجتماعية وبدائل، وهي مسائل ظلت مجرد شعارات في الكتب.

لا هاجس غير الكرسي

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk